الرؤية الحضارية عند غارودي من ضيق التصادم الي افق الحوار

Garaudy civilized vision from narrow collision to the horizon of dialogue

مسعودي هشام *

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر + مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم.

hichem.messaoudi@univ-mascara.dz

بولعراس جباري

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

Djebar.boulaares@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/26 تاريخ القبول 2022/09/23 تاريخ النشر 2022/10/13

ملخص:

يعتبر حوار الحضارات في الوقت الراهن من أبرز القضايا الفلسفية التي أثارت الكثير من الجدل، خصوصا أن العالم يعيش أزمات على مستوى العلاقات الدولية، ويقصد بها العالم الإسلامي والصيني والروسي والغربي، وأيضا مع ظهور نظريات فلسفية سياسية تسير في الإتجاه المعاكس، التي تنبأ بظهور صدام حضاري ونعني بها كتابات صامويل هنتنغتون، هنا طرح حوار الحضارات كبديل لنظرية الصدام بتنظير من الفيلسوف روجي غارودي. ومنه هدفنا في بحثنا هذا الي معرفة الأسس وقواعد التي أقام عليها روجيه حوار الحضارات وكيفية تطبيقه على ارض الواقع. وبالتالي كان الأشكال كالأتي: هل الحوار الحضاري والتق ارب الثقافي كفيل بالتحقيق السلم العالمي؟

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: الحضارة؛ الصدام؛ الحوار؛ غارودي.

Abstract:
The dialogue of civilizations is currently one of the most prominent philosophical issues that have raised a lot of controversy, especially that the world is experiencing crises at the level of international relations, meaning the Islamic, Chinese, Russian and Western world, and also with the emergence of political philosophical theories moving in the opposite direction, which predicted the emergence of a civilized clash By this we mean the writings of Samuel Huntington, here he put forward the dialogue of civilizations as an alternative to the clash theory with theorizing of the philosopher Roger Garaudy. It is our goal in this research to know the foundations and rules on which Roger established the dialogue of civilizations and how to apply it on the ground. Thus, the forms were as follows: Is civilized dialogue and cultural rapprochement capable of achieving world peace?
***Key words**:* Civilization; clash; Dialogue; Garaudy.

مقدّمة:

إن مفهوم صراع الحضارات يشمل التاريخ والهوية والثقافة، انه صدام بين لحظة ميلاد أمة الى نهايتها مع أخرى توازيها في هذا الرسم، هذا ما يؤكده وزير الخارجية الامريكي الاسبق "هنري كيسنجر" في نظريته العدو الدائم التي تقوم على وجود عدو دائم للولايات المتحدة، فبعد سقوط الاتحاد السوفياتي كان الاسلام هو العدو الدائم، ان هاته الآراء لكيسنجر وغيره من المفكرين تزرع الكثير من المخاوف حول تكرار الم الحروب في ظل وجود أراء فكرية ونظريات تقوم على هاته المبادئ، وظهور قوى موازية مثل الصين وروسيا، ينبئ ان العالم يعيش على ابواب الحروب والصراعات قادمة، وبالتالي كان لا بد على وجود بدائل للأحداث نوعا من التوازن الفكري، ولان الحضارة هي مركز الهوية والتاريخ بالنسبة للإنسان وتستحوذ على كثير من مركزية الذات لديه، كانت الأساس في الحوار بين الشعوب.

هنا طرح غارودي مشروعه الذي يراه الحل الانسب لمعالجة اشكالية التعصب والتطرف والقضاء على آفة الحروب لإنقاذ البشرية، لقد اعتبر غارودي ان قضية الحوار

والتعايش بين الحضارات خصوصا الاسلامية والغربية يمكن حدوثها ان لم تستعمل الدين كغطاء سياسي لبث العدوان والنزعات بين الشعوب "مثل احداث 11 سبتمبر". ولتطبيق مشروعه طرح التصوف كمنهج وطريق وهو السبيل الوحيد الذي يلبي مطالبه، الذي يقوم على الافاق الانسانية الكونية الواحدة ويستطيع أن يحمل الجميع في مركب واحد بإعتبار ان التصوف عندهما قائم على الحب" الاعلى" أو "المطلق"، "والدين" ليس غاية في ذاته بل هو طريق للوصول الى حب المطلق "الله" فكل شيء خلق من اجل المحبة، وهي تفسر لنا التسامح والعفو والتعايش والرحمة والتراحم.

المبحث الأول

مفهوم الحوار الحضارات

المطلب الأول: مفهوم الحوار

– لغة

«مداورة الكلام واعادته والمحاورة والتحاور والرأي بمعنى التجاوب اي انهم يتحاورون بمعنى يراجعون الكلام ومنه قولهم لم يخرجوا معناه لغة لم يرجع جوابا فمرجع الكلام هو اعادته او الجواب عنه»[1]. «ويقال أيضا أصله من الحور بفتح الحاء وسكون الواو وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ومنه كلمته فما رجع عنها او الى حوارا اي جوابا[2].

اصطلاحا:

«عرف على أنه العلو في الأدب وأسلوب من اساليبه ويكون بين شخصين في مجلس»[3]. « أو هو التراجع بين الطرفين والتحاور بينهما للوصول الى هدف النقاش»[4]. « أو هو مباشرة واعادة ومراجعة بين الفرد ونفسه أو هو والأخر وهو فن من فنون الانسان في علم التفاوض»[5]. « وعرف أيضا على أنه التزام أخلاقي ليس فيه انحياز لذاته أو للغير وأنهما أو انما ينصفهما بما يتوافق مع قيمهما»[6]. « وقيل أيضا ان يتناول الحديث طرفان

أو أكثر عن طريق السؤال أو الجواب ويشترط وحدة الموضوع او الهدف»[7].« وقيل أيضا معنى سلوك حضاري مبني على منظومة من القيم الكونية، كالقبول بي التعددية والاختلاف»[8].

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة

- **تعريف الحضارة:** انه في حقيقة الامر أن ضبط مفهوم الحضارة من الناحية المفهومية للفظ اي معرفة ماهيته يعتبر امرا صعبا على مختلف الباحثين والدارسين ذلك ان مفهوم الحضارة من المفاهيم الفلسفية المركبة التي تعتمد في تعريف مفهومها على عدة عناصر مادية متداخلة، ومنه اختلف صناع المصطلح في تحديد دائرة المصطلح من ناحية الاستخدامية له ولهذا نجد الكثير من يمزجون الحضارة بالثقافة، وهناك من يمزجها بالحداثة وهناك من يمزجها بالبعد المادي وهكذا اختلف المفهوم في ضبط المصطلح من هذه الناحية.

- **لغة:** عرفت الحضارة من حضارة اقامة في الحضري وتحضر أي تخلق بأهل الحضر وعاداتهم وهي مخالفة البدو.[9]

وجاء ايضا الحاضر المقيم في المدن والقرى والبادي المقيم بالبادية وفلان حضري وفلان بدوي والحضارة الاقامة في الحضر، وكان الاصمعي يقول الحضارة بالفتح والحاضرة والحاضر الحي العظيم أو القوم[10]، اما في اللغات الاوربية وعلى وجه الخصوص في اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية فلفظ الحضارة هو الترجمة الشائعة للفظ الفرنسية (civilisation) التي يعود اصلها الى عدة جذور في اللغة اللاتينية منها (civilités) وهو المواطن الروماني المتعالي على (cites)أي ساكن المدينة و (civis) بمعنى مدينة و الهمج ولم يتداول هذا الاشتقاق حتى القرن الثمان عشر[11]، الى ان اكثر المعاني دقيقة الان هي مرحلة من النمو العسكري والثقافي والمادي في المجتمع الإنساني.

-اصطلاحا: يعتقد ابن خلدون ان الحضارة مرتبطة بي مفهوم الدولة بمعنى ان الحضارة هي احدى المراحل التي تمر بها الدولة، فهو يرى انها تسير من البدو الى التحضر ثم التدهور وكل حلقة متصلة بالأخرى[12] ، اما مالك بن نبي فيقول ان الحضارة هي مجموعة من العناصر البيولوجية تنشأ ويتقوى هيكلها بنمو الروح، وهو يزاوج بين المعطى المادي والروحي حيث يرى ان الروح لطالما شكلت دافعا قويا في نمو الحضارة ووصولها الى قمة التحضر حيث يقول في معادلته بالفكرة الدينية ، وهي تمثل الروح ثم الانسان ثم الزمن ويتحقق معطى الحضارة[13]، ويركز علي عبود المحموداوي في تعريفه للحضارة التي وصلها بالهوية والانتماء، اي هي ذلك الانتماء الديني والجغرافي والثقافي[14]، اما عند الغربيين فيعتقد هنتنغتون ان الحضارة هي اعلى هرم يصل اليه العرق البشري في تفوقه على الاجناس الاخرى[15]، ومن خلال ما تقدم من تعريفات نلاحظ أن مفهوم الحضارة مفهوم من المفاهيم المركبة، بمعنى تدخل تحته صناعة عدة عناصر قد تكون منها المعنوية وقد تكون منها المادية فمثلا نجد أن العنصر البشري جزءا مهم في مفهوم الحضارة كما ان الفكر واللغة والثقافة هي تعبير وتمثيل للحضارة، ولهذا فإننا نجد ان الحضارة هي كل ما يقدمه الانسان من صناعة مادية ومعنوية فهي تسمى حضارة ولا يشترط في ذلك قياس مدى تأثير حضارة معينة على التاريخ البشري او مدى تطورها، فانه يكفي ان تكون هناك صناعة على مستوى المادة والمعنى لكي تكون حضارة اذا جاز اطلاق لفظ الحضارة على هذا الباب، ان هذا المنطلق حسب رأينا يعطي ويدخل جميع البشر في التكوين الحضاري فالإنسان الحجري قدم صناعته في الفلاحة واللغة عبر النقش على الحجر ولهذا هو حضاري ولا يمكن ان نقصيه، لأنه لم يقدم تطورا مذهلا في بناء التاريخ الانساني الحضاري، ومن هنا نقول ان الانسان بطبيعته كائن حضاري بمعنى مؤهل على المستوى المادي والمعنوي لذلك هو حضاري من هذا الوجه، انسان+ صناعة مادية+ معنى= حضارة.

الفرع الأول: مفهوم حوار الحضارات

ان حوار الحضارات يصل بنا الى ادراج علاقة الانا بالأخر وربط العلاقة بينهما اذ انه لا يسعى لتحويل الانا الى الاخر والعكس، ولكنه يسعى الى الربط وضبط تأثير الانا في الساحة التاريخية والاجتماعية في ظل علاقة التأثير والتأثر بمقتضى التفاعل الانساني وضمان حق الخصوصية الفردية والحضارية[16].

لقد عرف التاريخ البشري عدة تبادلات وعلاقات بين الحضارات سواء كان على مستوى الاقتصادي او الاجتماعي، أو حتى السياسي ومصطلح حوار الحضارات من هذا الجانب لا يعني المعنى الكلامي لمفردة الحوار، اذا ان ذلك يستحيل ان تمارس حضارة الكلام مع حضارة أخرى، ولكن يكون المعنى هنا للفظ الحوار هو التعارف وتبادل الخبرات والمعارف بين افراد الشعوب بحيث يعرف البشر من زوايا اخرى أنهم متقاربون جدا على عكس ما يظهر من الخارج، ومن هنا كان القصد بحوار الحضارات هو تبادل ذلك الارث المخزون في الماضي من معارف وعادات وتقاليد يمكن لها ان تساهم في احداث تغيرات في بنية اجتماعية .

الفرع الثاني: نظرية الصراع أو الصدام الحضاري (هنتنغتون)

– مفهوم الصراع: عرف مصطلح الصراع في منجد اللغة ان كلمة الصراع تأتي من صرع–صرعا ومصرعا اي طرحه ارضا أي تصارع الرجلان أو اصطرع الرجلان اي حاولا أيهما يصرع الأخر[17]، أما عند جميل صليبا في معجمه الفلسفي فهو يقول هو في الأصل نزاع بين شخصين يحاول كل منهما أن يتغلب على الاخر بقوته البدنية كالصراع بين الابطال الرياضين، ويطلق ايضا على نزاع قوة ما مع قوة موازية تحاول الحلول مكانها أو السيطرة كما يعتقد أن يكون اشمل من ذلك كالصراع بين المصطلحات والمفاهيم[18].

– مفهوم الصدام:

التعريف اللغوي: ورد في منجد اللغة العربية: صدم صدما: دفع بعنف وشدة اي دخل في الشيء وحطمه، صدام تصادم ارتطام شيء بأخر خلاف نزاع مشادة، مشاحنة[19] أما في قاموس اكسفورد الحديث فإن كلمة clash تحمل معنى يتنافر يتضارب يشبك اشتباكا مسلحا[20].

المطلب الثالث: نظرية الصراع

نجد هذا الطرح متجذر في النظرية البنائية الوظيفية التي تقيم الانسجام والتنسيق بين المجتمعات ولسلوكيات الأفراد واستقرار المجموعات من خلال صراع الاجتماعات الصاعدة، في هذا الصدد كما نجد مفهوم الصراع في الفكر الماركسي متأصل بوضوح بحيث أن الماركسية تقوم على ذلك الصراع بين طبقة العمال، وطبقة البرجوازية وفكرة جدلية المادية التاريخية، التي تقوم وتتأسس عن فكرة الصراع كما نجد أيضا مفهوم الصراع في النظريات والفلسفات السياسية[21]، لقد اقامت النظرية الماركسية الصراع كحتمية ضرورية لسيرورة التاريخ من حيث الاحداث التاريخية وأن الحدث التاريخي هو عبارة عن صدام بين الطبقة البرجوازية والطبقة العاملة، الا ان الصراع الذي نريد ان نتكلم عنه هو ليس بين الطبقات البرجوازية والطبقة العاملة لكنه صراع من مفهوم آخر إنه صدام وصراع حتى على مستوى المفاهيم والمصطلحات، انه صراع التراث والقيم والمفاهيم انه أشمل من صدام بين طبقتين من المجتمع تريد ان تسيطر احداهما على الاخرى، وهذا المعطى هو الذي يمكن لنا فهم ما يحدث لان الصراع يحل في جميع المجالات الثقافية المتمثلة في المصطلح والاقتصادية المتماثلة في المادة والثروة والسياسية المتمثلة في التوسع الجغرافي والسيطرة والاخلاق المتمثلة في نمط العيش والسلوك الفردي وتسيير حركة الحياة.

الفرع الأول: نظرية الصراع عند هينغتون:

يعتبر برنارد لويس أول من استخدم مفهوم صدام الحضارات سنة 1964 حيث اعتبر ان الشرق الأوسط هو ليس مركز لطاقة فحسب لكنه يعتبر مركز لصراع حضاري

بأتم معنى للكملة بين حضارتين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية حيث يتوقع لهذا الصراع أن يحدد مصير العالم بجانب الحضارة الكونفوشيوسية[22]، ان فكرة الصدام أو الصراع في الفكر الغربي تعتبر افكار قديمة في الفلسفة الاوربية فقد أشار ارسطو على الكسندر المقدوني على قتال الفرس وعدم الزواج بهم ،كما كانت الطبقية وفكرة الصراع أيضا متجذرة في كتاب الجمهورية لأفلاطون الى هيغل و ارث الامة الألمانية، كلها كانت فلسفات تحمل في باطنها افكار عن الصراع، ولهذا نحن لا نريد أن نأصل لتاريخ الفكرة من خلال الحدث التاريخي بغض النظر عن مناقشتها، لان ما يهمنا نحن اليوم هو مناقشة الافكار وتبيان خطورتها والازمة التي يمكن ان تجسدها على أرض الواقع ان وجدت عقلا يحملها، لقد نشرت صحيفة الشؤون الخارجية في صيف 1993 مقالا لصمويل هينغتون بعنوان «صدام الحضارات اثار جدلا واسعا في الساحة الفكرية والسياسة العالمية ثم اعاده في كتاب سماه صدام الحضارات واعادة هيكلة نظام العالمي الجديد»[23]، يعتقد هنتنغتون ان العالم ما بعد الحرب الباردة يقوم على التعدد الحضاري لا على الاختلاف الايديولوجي ان العالم ولأول مرة يصبح متعدد الاقطاب والحضارات والصراع لا يكون الان على مستوى السياسات ولا الاقتصادات، ولكن على مستوى الشعوب والثقافات انه صراع التراث، "ان الدول الاكثر أهمية لم تعد من ثلاث معسكرات بل هي من ثمان حضارات وصراع القوى العظمي قد يحل محله صراع الحضارات، ان العالم اليوم لا يحكمه صراع طبقات اجتماعية غنية أو فقيرة أو جماعات على أسس اقتصادية ولكن بين شعوب تنتمي الى هويات ثقافية مختلفة والحضارات والثقافات سوف تتحد الثقافات التي تشبهها لكي تحارب أخرى معادية لها"[24].

الفرع الثاني: الحضارة الواحدة العالمية

ان قيام حضارة عالمية واحدة او حضارة كونية يكون عموما التقاء الثقافات البشرية والقبول المتزايد للقيم والعقائد والاتجاهات والممارسات، انه من الخطأ الاعتقاد ان استعمال الحضارات الاخرى لأدوات غربية يعني اندماجهم هو عبارة عن غرور ساذج[25].

المبحث الثاني

حوار الحضارات عند روجي غارودي

المطلب الأول :شروط حوار الحضارات عند روجي غارودي

يعتبر غارودي من أبرز الذين نظروا لهذا الموقف باعتباره كان من المدافعين عنه والمرسين لقواعد هذا التيار الفكري الذي يدعو الى التقريب بين الحضارات وتضييق الفجوة فيما بينهم درأ لتعصب ومحاولة للقضاء على التطرف، والارهاب وغيرها من المشاكل التي تهدد أمن وسلامة البشرية، ان النظرة السياسية لغارودي جعلته يتنبأ لنا بوقوع حروب وصراعات باسم الصراع الحضاري باعتبار أنه كان رجلا سياسيا في الحزب الشيوعي، ان ما نشهده نحن اليوم من مظاهر التطرف والارهاب والحروب يجعلنا نعرف وندرك ان غارودي كان لديه فكر استشرافي مستقبلي في السياسة العالمية والعلاقات الدولية، ان حوار الحضارات الذي دعى اليه غارودي ليس دعوة نظرية فكرية كان الهدف منها هو الجلوس على المنابر وحضور الملتقيات والندوات، بل هو مشروع الأمل والخلاص للبشرية مما قد يحدث لها، لقد حدد غارودي مبادئ وشروط يقوم عليها الحوار الحضاري مؤسس على الموضوعية واحترام الذات والحضارة في حد ذاتها.

الفرع الأول: تفعيل الموضوعية الثقافية

– التصدي اللائكية الغربية:

لان أسسها تقوم على السيطرة وبقاء الانا الغربية فقط ومحاولة طمس الهويات وعدم الاعتراف بالحضارات الاخرى في احتكار للمعرفة، والمصطلح والفكر والاقتصاد والسلاح وغيرها، وما هذا سوى استعمار آخر موجه من طرف الغرب نحو الشرق يقول غارودي

«ان حوار الحضارات لا يمكن ان يكون في ظل وجود الامبريالية فعندما تكون هي موجودة يكون الحوار عدما لأنها في الأصل لا تؤمن بالحوار مع الاخر، لهذا لا يمكن احداث هذ النوع من التقارب والتحاور»[26]، ان الامبريالية لم تعني يوما ثقافة الحرية وفصل الدين والمعتقدات عن مراسيم الدولة والسياسات، ولم تكن يوما تعني الاعتراف بالأخر بل بالعكس تماما لقد كانت مدا وحشيا يسعى الى تدمير الاخر في ظل وجود أنا واحدة هي الانا الغربية الامريكية.

ان سيطرة الإمبريالية على العالم وجعلها نمط حياة يسير به جميع البشر ليس في الواقع هو محاولة اعطاء مظهر للتفوق الفكري والعسكري والاقتصادي فقط، بل يتعداه الى أكثر من ذلك، انني اليوم لم أعد افرق بين مجلس الشيوخ الامريكي والروماني قديما، اننا نرى اليوم نفس السياسة ونفس العقلية المدمرة التي تسعى الى التوسع بإعدام الاخر، ان هذا التصور يعرفه ويدركه الباحث في مسار العلوم والمعارف وتطوراتها وتشكلاتها فعندما نشاهد ان الولايات المتحدة الأمريكية اقامت التشريعات السياسية والقانونية على مبدأ حضور روما القديمة الكلاسيكية، وحضور المصطلح الاغريقي اليوناني في جانب المعرفة نعرف أنه لم يعد للأخر والشرق حضور في الطرح الموجود، ان ادراك بشاعة وخطورة الامبريالية نشاهده في اعمق صورة في احتكار المصطلح وصناعته واحتكار المعرفة والحقيقة باعتبار الغرب هو الحقيقة المطلقة .

–نقد العصبية:

نقد العصبية بكل أشكالها لان حضور الذات المتعصبة تجعلنا لا نرى الحقيقة في الكل انها تعمي ابصارنا، وقلوبنا في ادراك ذلك الاخصاب الموجود في جميع الحضارات والثقافات، ان نقد الذات المتمثلة في السلفية العلمية واللائكية والاسلامية وغيرها من السلفيات التي تدعو الى التعصب واحتكار الحقيقة هو في الاصل حاجز أمام وقوع الحوار والقبول بالآخر، يقول غارودي «إنه يجب علينا ان نفتح الافاق أمام عملية

الاخصاب التي تكون بين الانا والخر يجب ان تكون الحضارات اللاغربية مساوية لثقافات الغربية حتى يحصل التلاقح الحضاري الذي نسعى اليه منذ فجر تاريخ، ولا يكون ذلك الا بنقد التعصب والاصوليات»[27]، ان الفكرة التي يسعى غارودي لي طرحها وتقديمها على مستوى النقاش الفلسفي، هو أن الذات مركز مهم في تحليل الماضي وصناعة المستقبل، لكن الذات باعتبارها وعاء حامل للثقافة والهوية واللغة لا يجب أبد ان تفرض حقيقة على الاخر، الان المعرفة بالوجود والحقيقة المطلقة هي متشتتة في جميع الاقطار وادراكها والوصول اليها يحتم علينا أن نفتح الذات أمام تصور تلك الحقائق والمعارف الاخرى، ان السلفية لم تعني حضور الماضي في الحاضر بل اصبحت عيش الحاضر بالماضي، وهناك اختلاف كبير بين ان اذهب انا الى الماضي أو حضوره هو عندي لأنني عندما اذهب اليه أنا فإني أخسر جزء من حقيقتي المتمثلة في ظروف عصري، ولهذا يعتقد غارودي ان من ابرز المشكلات والمعيقات في الحوار الحضاري هو حضور تلك النزعة الاصولية سواء عند الغرب أو غيرهم، الا اننا نلاحظ أن نقد غارودي موجه أكثر للغرب بإعتباره يملك الأدوات لبناء الحضارة المتمثلة في القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها وهذا لا يعني أن نعدم الذوات لكن نفتح معها سعة في مجال الرؤية حتى نستطيع ان نصغي لبعضنا البعض.

– احترام الاختلاف الثقافي

تقدير الانا الحضارية من طرف الاخر وادراك الانا والاخر وجدا لكي يتفاعلا في اطار التكامل والتعارف الحضاري، يقول غارودي «لقد حدث في التاريخ لقاءات مختلفة بين الحضارات وسيتيح لنا تأملها ان نعرف تعريف افضل شروط المكان لقاء جديد ووسائل تسييره والاعتناء المرتقب منه، وان حوار الحضارات حقيقيا ليس بجائز الا اذا كان جزء من ذاتي يعمر كياني ويكشف لي عما يعوزني»[28]، ان احترام الاختلاف بين البشر هو احترام لسنة الخالق التي اقتاضها بأن يكون التنوع مصدرا ملهما واثرا بارزا لتجليات

وجوده، إذ أن التنوع الثقافي والاجتماعي والبيولوجي وغيره من الاختلافات ماهي الا اثبات لوجود الصانع الواحد الأحد، كما ان الاختلاف بين الثقافات لا يجسد فقط احترام خيار الباري سبحانه وتعالى، لكنه يعتبر ايضا تجلي للحقيقة الموجودة في الكل، التي تمثل الذات والانا والاخر والهو، فأنت تكشف ذاتك ومركزك بي معرفة الاخر الذي يختلف عنك لذلك هو جزء مهم في معرفة الأنا، ان احترام الذات والانا في اطار احترام خصوصية الحضارة والارث يجعل من الاخصاب المعرفي في متناول الجميع، كما انه يتيح للكثير من المجتمعات الغربية القضاء على الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ان تنوع الافكار وتبادلها عبر احترام الارث الحضاري والتاريخ المشترك بين البشر من شأنه ان يجعل مستقبل الانسانية يسير في طريق آمن وفق مبدأ احترام الذات جزء من احترام الاخر.

ان القطيعة المعرفية والسياسية والاقتصادية التي يمارسها الغرب عبر عزل الهويات والاجناس الاخرى في المشاركة في التراث والارث العالمي بفرض احتكار المعرفة، والسلطة من شأنه أن يساهم أكثر في وقوع ازمات كثيرة على مستوى الروحي والنفسي والاجتماعي للإنسان ان احترام خصوصية الحضارات وهوياتها هو المبدأ الوحيد الذي يمكن ان يكفل السلم والامان والعيش المشترك، لان الحضارة ليست هي عادات وتقاليد فقط بل هي عاطفة قوية وروح جديدة، ومتجددة موجودة في عبق التاريخ متجلية في المستقبل ومحاولة تدميرها يولد انعكاسا خطيرا على مستقبل البشر لأنه لا يمكن لأي احد ان يهزم عاطفة الشعوب التي نادت الى التغيير.

– إعادة قراءة التاريخ

اما الطرح الرابع الذي يراه غارودي مهما في بناء حوار حضاري كامل ومتكامل يشمل جميع المجالات، فهو اعادة الاعتبار للحضارات اللاغربية، بإعادة تصحيح المفاهيم وقراءة التاريخ بأسس موضوعية وعلمية وعدم تزييف الحقائق، واعدام الكثير من

الحضارات التي ساهمت في وصول الانسان الى ما هو عليه، يقول روجيه "هذا العلم لم يكن منفصل عن الحكمة اي عن التفكير في غايات البحث، ويقول ان النهضة الاسلامية في الاندلس، كان لها انعكاس كبير توجى في القرن السادس عشر الايطالي والسابع عشر الانكليزي والثامن عشر الفرنسي من تاريخ الغرب ولم تكن تتصف كالأخرى بظهور البعد المتسامي للإنسان"[29].

ان التاريخ لم يكن عبارة عن احداث حدثت في الماضي فقط، بل هو حقيقة يجب معرفتها والوصول اليها، حتى ندرك الافاق المستقبلية ونتفادى أخطاء الماضي وفق مبررات وتصحيحات واعتذارات معرفية وأخلاقية لكافة الشعوب التي هضم جهدها في صناعة التاريخ العالمي، يعتقد غارودي ان النهضة الاوربية الحقيقية ظهرت في الاندلس وامتدت من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر، وليس في ايطاليا في القرن السادس عشر كما يدعي الكثير من مؤرخي الغرب، في الاندلس، عندما كانت قرطبة اكبر مدينة في العالم بتعدد سكانها والاتساع الثقافي الذي انار القارة الاوربية في عصور الظلام في نظرة شاملة بين العقل والحكمة وعن ذلك تجذر العلم التجريبي كما اعترف بذلك روجر بيكون، هذا هو المعطى الحقيقي الذي مهد لي اوروبا ماهي عليه الان.

الفرع الثاني:

– مشاركة الغايات

مشاركة المستقبل وصناعته لأنه عندما يشعر فرد ما انه جزء من منظومة قانونية وتشريعية يكون الاحترام منه واجبا، وهذا المثال ينطبق على الفعل الحضاري لان الحضارة ماهي الا صناعة انسانية فمشاركة جميع الحضارات في صناعة المستقبل من شأنها وضع جميع الحضارات على توازي باحترام المستقبل الذي وضعوه بأيديهم، يقول غارودي «ان يكون للمستقبل وهو عبارة عن فن التصور والتفكير في الغايات والتاريخ واعادة استنباطه واستنطاقه من جديد وفق مبدأ الاشتراك الحضاري»[30]، ان مسألة تحديد الغايات التي

نرى غارودي يتكلم عنها كثيرا هي في الاخير اعادة طرح السؤال القديم الذي كان أساس انبعاث الفكر الفلسفي منذ الازل، وهو غاية الانسان ومطلبه في هذه الحياة، ان اختيار طرح سؤال الغايات من طرفه، هو في الحقيقة يعبر عن حاضنة نفسية اجتماعية مثلت صورة نمطية للحياة الغربية التي تعيش في صراع واضطراب نفسي على مستوى الحياة الاجتماعية والثقافية تجلت كثيرا في عمليات الانتحار العشوائي والمنظم ما، هذا الا تعبير عن انتماء مشكلة انسانية يعانيها الغرب، كانت في الاصل صورة لصناعة الفلسفية الحديثة والمعاصرة، لان الفلسفة الديكارتية والكانطية وحتى المعاصرة لم تستطيع ان تحدد الغايات بل عاشت في مشاكل الانسان، وهذا خطأ منهجي ومعرفي نحن نرى اليوم انعكاساته بشكل يجعلنا نراجع دور المعرفة والفلسفة الغربية وتحديد اهدافها، اننا لا نستطيع ان نحل مشاكل الانسان، الا اذا حددنا ثلاث عناصر مهمة في تركيباته النفسية وحتى الروحية والاجتماعية وهي تحديد الغايات وتحديد المسببات وتحديد المنطلقات فالإنسان بفطرته، وبغريزته يجب ان يعيش وفق تصورات معرفية وحياتية يفهم ضرورياتها ومقتضياتها فلا يمكن ان يعيش الانسان وفق مبادئ خاصة فردية لكل انسان لان خطاب المجموعة والامة يرفض ذلك، ولهذا كان الدين ضامنا اساسيا لهاته الشروط لأنه يتيح المشاركة الجماعية النمطية في تشكيل صورة ما وفق تحديد الغايات والمسببات وهذا في الحقيقة مطلب عقلي محض فالعقل البشري مقهور على طلب البداية والنهاية ولهذا وجب تحديد الغايات.

– نزع السلاح النووي

نزع السلاح النووي من طرف الدول العظمى، لان الاسلحة النووية لا تشكل فقط وسيلة تقضي على مستقبل البشر، بل هي اداة للقمع والظلم ومظهرا للاستبداد والقهر من طرف القوي نحو الضعيف ومبدأ الحوار يقتضي الا يستعمل القوي قوته امام الضعيف، بل يستعمل مبدأ الاحترام المبني على اساس اننا جميع بشر مطلوبون للمشاركة

في هاته الحياة وصناعة مستقبلها، يقول غارودي «لقد وصلنا الى هاته اللحظة المأساوية في حياة البشر ان يمكن ان تنتهي فيها ملحة الانسان في ثانية، ان الحياة البشرية تتطلب اتخاذ جبهة مشتركة للذين يؤمنون بأن الكون مازال يتقدم وأننا مكلفون بجعله يتقدم»[31].

«ويقول ان أسلحة الدمار الشامل فهي الصناعة الاكثر رخاء فهي التي صعدت بالولايات المتحدة الامريكية الى القمة وجعلتها القوة العالمية الاولى في العالم بفضلها تحصلت الولايات المتحدة الامريكية على نصف الثروة العالمية وتوصلت الى حل ازمتها وقد فجرت الحرب الكورية نجاحا اقتصاديا مذهلا، ومذبحة العراق كانت اكليلا من المجد واعلانا مصورا بالحجم الطبيعي والصوت والصورة للمحركات الموت القاهرة والمعقدة فارتفعت مبيعاتها ودارت عجلاتها عقب المذبحة»[32].

ان السلم العالمي الذي تتخذه الامم المتحدة شعارا دعائيا لها يوجب ان يكون هناك حل سلمي قائم لمشكلة الأسلحة النووية التي تهدد المستقبل وتجعل القوي يزداد بقوته وجبروته وتجعل الضعيف في موقف ثائر اتجاه النظام الدولي.

المطلب الثاني: التصوف ضرورة أخلاقية من اجل حضارة كونية عند غارودي:

الفرع الأول: الحب عند المتصوفة

تكمل اهمية الحب عند غارودي في انه يحمل علاقتين او طريقين افقي والاخر عمودي ولا يمكن النجاح في الافقي مادام العمودي يسير بشكل غير صحيح فعندما يتسع قلب الانسان للخالق تكون العلاقة الافقية التي تتسع للخلق اوسع، ان الحقيقة التي تؤرق غارودي وتقف عائق امام تحقيق مبتغاه وهو توحيد الاديان ليس الحقيقة الاهية الواحدة وليست التشريعات أو العقائد كما قد يتوهم البعض ولكنه غياب الحب

اذا الحب وسيلة في تقويم السلوك الانساني الذي يستطيع من خلاله ان يتفاعل مع مكونات الاختلاف لدى البشر، لان الاختلافات هي العائق أمام نجاح أي مشروع اسلامي داخل النسبة الاسلامية أو خارجها ولذلك قال الله عز وجل في محكم تنزيله: ﴿

لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ ﴾[33]، ومعنى ذلك أن مقام الحب لدى الصحابة والمؤمنين في ذلك الزمن كان قويا بحيث ذابوا في الله فذاب الله فيهم فلا يرون الله الا بالله، ولذلك كانت أفعالهم اتجاه بعضهم البعض تقترب من الكمال لأن الفعل السلوكي لديهم كان متصلا بالله عز وجل بحيث غابت تلك الانا التي تدعو الى الاستغراق في الاختلاف والتعصب، ولهذا كان الحرص منه أن يكون الله والحب محور الحركة الفعلية للإنسان المسلم، ان خطاب غارودي يسعى الى بث الشاعرية الخيالية والعقلية الجمالية المفعمة بروح الحب التي يمكنها ان تستوعب درجة الخلاف بحيث تصبح قلوبنا تسع الجميع، اذا وصل الانسان الى هاته المرحلة من الحب ادرك حقيقة أخرى حقيقة الله عز وجل المطلقة التي يتجلى بها في جميع المشهودات، ان المميز في العقيدة الصوفية الاسلامية حسب غارودي هو اطلاقية المطلقة التي يتجلى بها الله عز وجل فمكمن مشاهدته في انه يتجلى في جميع المعبودات والعبادات.

الفرع الثاني: الفن

"الفن الاسلامي يعبر عن تصور سالم يسود بان واحد مصيره وصيغته ومفرداته التشكيلة وتقنية ان ارادة الانفصال عن مظاهر العالم وارجاع الروح الى فكر وحيد تقتضي الا يدرك البصر أي شكل من أشكال، بمعنى على كل ادراك أن يجلب للذهن فكرة نظام يكون بآن واحد نظاما رياضيا وعقليا نظام اتساق موسيقى وهذا المفهوم المتعالي يسود في الفن الاسلامي بشكل مجرد، والمسجد هو الرمز الاعظم هو نوع من الصلاة من الحجارة ملتقى جميع فنون الاسلام حيث يحمل المسجد صفة تجميع المؤمنين متوجهين نحو القبلة مكة وهذه وظيفته اما صفته الثانية هي تجريده الكامل فهو لذكر الله وهنا تظهر موسيقته[34].

ان فهم غارودي العميق لمسألة الفن ينطلق أولا من عقيدة التصوف في الله عز وجل، فالله ليس مفصولا عن الخلق وليس متحدا أيضا به، لان مسألة الاتحاد والحلول هي

مسألة فهمت عن المقصد وليس عقيدتا لهم وهنا يجدر بنا القول أن النص الصوفي يختلف كثيرا عن النصوص الاخرى، لأن الحامل يكون مختلفا عن المحمول في الظاهر والباطن ولهذا يجب تؤويل كلامهم على النحو الصحيح والسليم، فهو يرى أن الخلق هو ظل للرحمان عز وجل بمعنى انه ليست هناك اشكالية القدم والحادث التي طرحت في الفلسفة الاسلامية، وعلاقة الخلق بالخالق تشبه علاقة الانسان بظله حيث ان الظل ليس هو الانسان في ذاته ولكنه في نفس الوقت ليس مفصولا عنه، انه احد تجلياته ومن هنا نفهم ان مسألة المسجد والسجادة والفن هي عبارة عن معاني لقرب الانسان من خالق في اقرب موضع بالنسبة له الا وهو السجود بين يديه، المسجد هو بيت الله بمعنى أن يسكن المسجد سكونا تجلياتنا نورانيا وليس زمانيا وهو تعبير عن نور الله المنبثق الموجود في المساجد، ان اكثر شيء كان مستفزا لغارودي في الفن الاسلامي هو تجريد العميق الذي تجلى به هذا الفن، بحيث أنه حتى الطابع الحسي للمسجد يغيب أمام التجلي الاهي فيه بحيث يصبح الكل في المعنى في عالم الروح التي ستكون عودتها وانشراحها هناك أمام العود القديم، إن الدور الثاني الذي يحمله الفن عند مشروع غارودي هو ذلك التأثير الذي يمكن أن يحدثه الفن في واقع الانسان، فعقيدة الفن دائما كانت في مختلف الحضارات الانسانية تعبر عن المعنى لا عن الحس عن المجرد لا عن الواقع لقد كان يحمل في ابعاده ميتافيزيقا لمفاهيم وموضوعات كانت أكثر مادية، وهذا هو تأثير والعلاقة التي كان يبحث عنها السيد روجيه في مسألة الفن فمثلا لو رأينا رؤيته لمسألة القبر ودفن الموتى لوجدناه يفسرها على انها عملية جمالية فنية رغم انها قد تبدو موحشة اذ انه يعطيها طابعا وتصورا أخر جماليا، حيث يعتقد ان جمال القبور وفنيتها انها الحامل الوحيد للبعد الميتافيزيقي المتصل بحياة الجمال الاوحد .

خاتمة:

يعتبر حوار الحضارات من القضايا التي يمكن لها اذابة الجليد المتكون من التعصب والارهاب والتطرف، ذلك في احداث نوع من تقارب لدى الشعوب ليس على مستوى المعيشي ولكن على المستوى الفكري والثقافي والحرص على الوحدة الحضارية المتمثلة في أن الانسان يؤمن انه يمكن تحقيق حضارة كونية واحدة في إطار احترام الاختلاف الثقافي المتمثل في الدين والعادات وتقاليد. اذ انه لا يمكن ان تتحقق الوحدة العالمية حسب روجيه، سوى بالحب والاعتراف بالأخر والاستفادة من جميع الحضارات، والحفاظ على كل خصوصية تمثل ذاتية الحضارة، ان سعي روجيه في تشكيل هاته الصورة لم يأتي عبثا بل جاء عن قصدية مباشرة، في ظل الازمات السياسية والاجتماعية التي نعيشها اليوم.

ولهذا قدم مشروعه المتمثل في حوار الحضارات الى حوار الاديان الى الوحدة الايمانية التي ستكون الشعلة المتوقدة في ظلمات المادة، والتصوف منهج وطريق يمكن له ان يحمل الجميع في سفينته، لأنه يملك الادوات المفهومية والمناهج السلوكية والإجابات المعرفية والكثير من الافكار التنويرية التي تتطلبها الحضارة اليوم، التي تعيش اسوء ايامها بصورة ترسم الاحتضار الاخير قبل الموت. ومنه فإننا نقول ان مشروع غارودي كفيل بان يطبق على ارض الواقع لأنه يحمل العديد من الافكار، والاسس التي تساعد على بناء صرح حضاري واحد يقف عليه الجميع.

الهوامش:

---

[1]- ابن فارس، مقاييس اللغة، دمشق: دار الفكر، بدون تاريخ نشر، ص 117.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، بدون تاريخ، ص 174، ص 218، ص 11.

[3]- الندوة العالمية لشباب الاسلامي، في اصول الحوار، مصر: دار التوزيع والنشر الاسلامي، سنة 1994، ص 8.

[4]- موسى ابراهيك الابراهيم، حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، مصر، بدون تاريخ نشر، ص 19.

[5]- عباس محجوب، الحكمة والحوار وعلاقة تبادلية، ط1، الاردن: عالم الكتب الحديثة، بدون تاريخ، ص 22.

[6]- محمد مصطفى التباح، حوار الثقافات وحقوق الانسان في زمن العولمة، الرباط: سلسلة المعرفة، العدد 30 مارس 2005، ص18.

[7]- محمد الكتاني، ثقافة الحوار من التأسيس الى التأهيل، مصر: منشورات وزارة الاوقاف المعرفة،2007، ص05.

8- عبد الرحمان البحلاوي، اصول التربية الاسلامية واسلامها، الرياض: دار عالم الكتب، ط 1، سنة 2000، ص 430.

9- المعجم الوسيط، القاهرة: دار الشروق، ط2، 1989، ص 181.

10- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سبق ذكره، ص 196 – 197.

11 - dictionnare de lengue franciaisc – imprime en itqlic collcllon – 60 edition 02 hacttc spqdc; - adag – 199- . p-60.

12 – ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، بيروت: دار الاحياء للنشر، بدون سنة نشر، ص 457.

13- مالك بن نبي، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، سوريا: دار الفكر، ط2، ص 41.

14- علي عبود المحموداوي، خطاب الهويات الحضارية من الصدام الى التسامح، الجزائر: ابن النديم، سنة 2012، ص 36.

15- صامويل هنغتون، صدام الحضارات واعادة صناع النظام العالمي، ترجمة مالك أبو شهيرة، دار العالم، بدون سنة نشر، ص 106.

16- عباس محجوب: الحكمة والحوار علاقة تبادلية، الاردن: عالم الكتاب الحديث، سنة 2006، ص 254.

16- لويس معلوف، المنجد في اللغة، بيروت: دار المشرق، 2000، ص 422.

18 – جميل صلبيا، المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللساني، سنة 197، ص 725.

19- لويس معلوف، المنجد في اللغة العربية، مرجع سابق، 825.

Oxfodbas ic Englich Dictive, Lw 3rd edition univevsitypress 2006 p 68. -20

21- احمد حديدي، الاسلام وصراع الحضارات الدوحة، سنة 1995، ص 15.

22- محمد العربي بن عزوز، زمن هينغتون صدام الحضارات ونهاية تاريخ، القاهرة: دار النهضة، سنة 2009، ص 15، 16.

23-صامويل هيغتون، صدام الحضارات واعادة بناء نظام عالمي، ليبيا: ترجمة مالك عبيد، دار الجماهيرية، بدون سنة، ص 71.

24- صامويل هيغتون، صدام الحضارات واعادة بناء نظام عالم، نفس المرجع، ص 90.

25- صامويل هيغتون، صدام الحضارات واعادة بناء نظام عالم، نفس المرجع، ص 131.

26- روجي غارودي، مشروع الامل، بيروت: دار الآداب، ط1، بدون سنة، ص 107.

27- روجي غارودي، في سبيل حوار الحضارات، بيروت: ترجمة عادل، منشورات، سنة 1978، ص 187.

28 – روجي غارودي، في سبيل حوار الحضارات، مصدر سبق ذكره، ص 189.

29- روجي غارودي، الاسلام في الغرب قرطبة عاصمة العالم والفكر، ترجمة دوقان قرقوط، دمشق: دار دمشق، سنة 1995 ص45.

30- روجي غارودي، من اجل حوار الحضارات، بيروت عادل العوا، ط1، سنة 1987، ص10.

31- روجي غارودي، من اللعنة الى الحوار ترجمة الياس مرقص، بيروت: دار الحقيقة، 1980، ص46.

32- روجي غارودي، امريكا طليعة الانحطاط، القاهرة: دار الشروق، سنة 1999، ص43.

33- سورة الأنفال، الآية 63.

34- روجي غارودي، حوار الحضارات، بيروت لبنان: عويدات للنشر، بدون سنة، ص 138.